

توفيق الإمام: اعتدنا في وزارة الثقافة على تكريم القامات الأدبية والفنية



احتفاء بالشخصيات السورية المبدعة في مختلف مجالات الفكر والأدب كانت ندوة هذا الأربعاء عنوان «أبو ريشة.. شاعر الكبراء والصورة»، وذلك في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، دارها الدكتور إسماعيل مروة، وتضمن برنامجها ثلاثة محاور الأول «صورة المرأة في شعر عمر أبو ريشة» قدمه الدكتور غسان غنيم، والمحور الثاني «الصورة الفنية في شعر عمر أبو ريشة» حدث عنه الدكتور محمود سالم، أما المحور الثالث فيحمل عنوان «أبو ريشة.. روية الآخر التقطاع معه» قدمه الدكتور ثائر زين الدين.

بحضارات متميزة، واطلاع على التراث العربي، والشعري منه خاصة، ومتابعة الاتجاهات الأدبية السائدة في عصره، فضلاً عما حبي به من إحساس متواافق وسلامة حواس، هذه الأمور كلها هيئته ليكون مبدعاً في الوصف.

وبين سالم موضوعات الوصف في شعر أبو ريشة وقال: «للوصف عنده عدة موضوعات، أولها الطبيعة ومكوناتها، وثانيها وصف الأوابد والآثار، وثالثها وصف الأعمال الفنية من صور وتماثيل، وتاتي بعد ذلك موضوعات ثانوية كوصف الأدوات والمختبرات، مثل قوله في افتتاح قصيدة «عناد»: هذى الربى كم ضاق في خضاوه ما يلى على جنباتها أتعذر».

وأفاد سالم إلى أن «أبو ريشة اتبع طرائق متباعدة في إداء وصفه، منها التجسيدي للأفكار المجردة، والأنسنة للنبات والحيوان والجهاد، ومنها تقريب الموصوف إلى الأذهان أو تحويله معاني ومشاعر من خلال التشبيه»، وأشهر قصائده في وصف الأوابد جاءت من خلال وصفه «كاجرواوا»، في الهند، التي افتتحها بقوله: من إنكم وهب الأمان لأحية، أنت أم الزمان».

أبو ريشة من الأعلام المهمين وكان إصراره أن يدفن في ثرى الوطن بحلب

صبيدة «عودي»، المكتوبة سنة ١٩٦٥ واستحضرت
اللحظة نفسها قصيدة قصيرة للشاعرة الروسية
أنا أخاتوفا، وقدم أبو ريشة في استهلال صغير يقول
يه: «وكان الليل واللاج والمدينة الهاجعة فوق إحدى
ضباب الهملايا.. وقصرها المنفرد» قائلاً:
الت ملتكت اذهب لست نادمة
لي فراقلق.. إن الحب ليس لنا!
فقيتك المر من كأسى شفيت بها
قدyi عليك وما لي عن شفاك غنى
آن أشتئي بعد هذا اليوم أمنية
ند حملت إليها النعش والكفتنا
لوموضوع نفسه عالجته قبل أكثر من خمسين عاماً على
تابة قصيدة أبو ريشة الشاعرة الروسية آنا، بقصيدة
ديدة التكثيف والإيحاء حيث ثالت:
مركت يدي تحت شرسفي الغامق
لم أنت شاحجة اليوم «
تنني شربت حزننا... مضماً حتى السكر
يف أنسى؟ خرج يترنح
قد لو فمه بحزن

تقريب الموصوف إلى الأذهان

وفي تصريح له لفت إسماعيل مروة إلى أن: «عمر أبو ريشة واحد من أهم الشعراء السوريين والعرب على الإطلاق لأنّه يملك لغة وصورة وإحساساً مرهفاً عالياً، الأمر الذي يجعله من أفضل الشعراء قدرةً على تقديم صورة شعرية مهمة، بالإضافة لامتلاكه الإيمان الكبير والاتباع للوطن، فقد كان متنسقاً بوطنه سورية إلى أقصى درجة، وله تكهة خاصة في شعره يجعلته يقدم صورة شعرية مختزلة»، مضيفاً إننا «لو عدنا إلى ديوانه قلماً نجد مطولات لأنّه لا يعتمد على عدد أبيات القصيدة وإنما يعتمد على الفكرة التي يريد أن يقولها، عمر أبو ريشة من الأعلام المهمين جداً الذين عاشوا وكان إصرارهم أن يدفنوا في ثرى الوطن فعاد سيدفن في مدينة حل». .

فعالية «سورية تقرأ من أحل القدس» الالتزام بالشراحت من السويداء

**سفير جراد: الحقيقة الأكثر وضوحاً اليوم
هي أن سوريا هي المحاضنة القضية الفلسطينية**



طنية وأماكن حضارية بين القدس
دمشق تحمل معالم التاريخ المعاصر
عنها يقول: «في اللوحة صورة لقبة
صخرة رمزاً للقدس سيدة المدن وساحة
شهداء في دمشق التي ترمز لشهداء الوطن
جمع، أما الشخصيات الوطنية الرائدة
تي حملت دروساً في الكفاح والنضال وهي
قائد العام للثورة السورية الكبرى سلطان
شا الأطرش، وعباءته في المتحف الوطني
بقيت في المتحف الوطني إلى عام ١٩٤٨
المطران كيوجي وصورته هذه أثناء
رافقته لوفد الجمهورية العربية السورية
مؤتمراً جنيف، وهو مقاوم وصادم رغم
قيمه من سلطات الاحتلال، والشخصية
ثالثة عن الدين القسام المجاهد المولود
جبلة وقائد أول ثورة عربية قومية،
الشخصية الرابعة أمين الحسيني رئيس
مجلس الإسلامي الأعلى، وهنا أردت أن
كون تمازجاً بين كل هذه الرموز وال العلاقة
جدلية بين القدس ودمشق».

جراد: لا شك وتحت عنوان سورية تقرأ
من أجل القدس أحبينا أن نعمم ونقول
بأن القراءة الحقيقة للشأن السياسي
والاقتصادي والأمني في الداخل والخارج
يعطينا تصوراً حقيقياً حول ماذا أريد
بهذه البلاد أن يفعل بها، فلإسرائيل
استطاعت بنجاح كبير أن تغيب القضية
الفلسطينية وأن تغيب قضية المقدسيين
وأن تغيب ثورة الأعماء الخاوية في
فلسطين وكثير من القضايا المفصلية في
فلسطين فهذا التغريب غطت عنه بأحداث
كارثية في عموم البلاد العربية ونحن
من هذا المنبر نقول: إن فلسطين أولاً
والقدس أولاً وتلازم المسارين السوري
والفلسطيني يعطي نتيجة أن إسرائيل
تخيب في مسعاهما وسوف تقفل في
مقصدها ولذلك نقول من هذا المنبر: إننا
أمام حقيقة واحدة هي أن سورية مازالت
حاضنة لقضية فلسطين».

أصل الأصول وإلى أساس العلوم وهو الفكر، فالردد على هذا المشروع هو بالفکر ولا يوجد فکر من دون قراءة ولهذا اخترت هذا المشروع والذي هو «سورية تقرأ من أجل القدس»، وسورية تقرأ من أجل التشبث باللهوية، وسورية تقرأ من أجل العادات والتقاليد وفي كل مرّة نختار موضوعاً من أجل «سورية تقرأ»، لجعل جيل الشباب العربيض الضائع هذه الأيام يعود إلى حضن الهوية الوطنية والثوابت من خلال القراءة وبالتالي من خلال تكوين فكر منتظم إلى الأرض والجغرافية والتاريخ وهذا هو محور لقاء هذا اليوم في محافظة السويداء لنقل للعالم أجمع إذا تاهوا فخن لم نته، إذا ضلعوا فخن لم ضفخ فخن هنا ما زلنا متشبّثين على الرغم من الإمكانيات الضعيفة المترددة ولكن سنتبّق على رفع السقف إلى الأعلى كي لا يقال إننا تهنا أو إننا تخلينا عن القضية المركزية».

سالهای اخیر

يعلم الغرب أن إفراط الوطن من
محتواه الثقافي هو الوسيلة الأكثر خطأً
لدمار الأجيال القادمة بقطع العلاقة بين
الإنسان وذوره وموطنه و מורوثه
وتقاليده وتاريخه، وهذا ما تكتنفه
بواطن الأزمة وال الحرب على سوريا.
ومؤسسة القدس الدولية تعمل اليوم
على توضيح هذه الفكرة بنشرها في فكر
واع وطرق تناسب مع لغة الحاضر
وهذا ما تكتنفه فعالية «سورية نقرأ»
من أجل القدس» التي أقيمت في المركز
الثقافي العربي في السويداء والتي شارك
فيها كل من: سفير جراد ممثل الفصائل
الفلسطينية، والشيخ ياسر أبو فخر،
وأ. فادي حديقة، والشاعر بشار أبو
حمدان، والمؤرخ إبراهيم جودية، بإدارة
من الرحالة الكاتب عدنان عزام عضو
مجلس أمناء مؤسسة القدس.

لم تعد لغة «نعرف أنتا لا نعرف» على حد تعبير لغة مفهومة في أياماً هذه. الادعاء بمعرفة كل شئ اللغة السائدة في الوقت الحالي. ولهذا الاعتبار خال التواضع. وفي الوقت نفسه، فقدت عملية التوارث الناس قيمتها لحساب التموقع حول الذات وتغليب

لم تعد لغة «نعرف أنتا لا نعرف» على حد تعبير سقراط لغة مفهومة في أياماً هذه. الادعاء بمعرفة كل شيء هي اللغة السائدة في الوقت الحالي. ولهذا الاعتبار غابت لغة التواضع. وفي الوقت نفسه، فقدت عملية التواصل بين الناس قيمتها لحساب التموقع حول الذات وتحلّيل الشعور بالفوقية والتعالي، عند البعض، منه.

والمعروف لدينا، كما عند قراء تاريخ البشرية، أن جميع الذين خلدهم التاريخ علماء كانوا أئم فلسفية أو أدباء أو فنانين، لم يكونوا في أي وقت، أسرى الشعور بالفوق أو ساعين وراء التمييز عن الآخرين بالمكانة أو المسكن أو اللباس أو بامتلاك الأموال والعقارات وسوى ذلك. كانوا أسواء بكل المقياس ومن ممارسي الرياضة النفسية، الرياضة التي تتطلب كمًا من التمارين لا يقدر عددها حتى تستقر تداعياتها في العقل ليقارب أصحابها بها أترابهم على درب الخلود. في أيامنا هذه نلاحظ على عكس ذلك، نلاحظ مدعى المعرفة بكل شيء وإن كانوا على بداية درب المعرفة، وشعارهم غالباً ما تكون «أنا» التي يتاجرون بها بنية المعرفة وهو بعدهم: «عنها بم احا».

في الزمن الراهن، الزمن الذي يتطلب منا جميعاً معرفة حدودنا وألا نتجاوزها بممارسة الكبرياء والعجزة.

نحتاج إلى إعادة ترتيب أولوياتنا حتى لا نسقط في التجربة.
في الظرف الراهن مطلوب منا أن نعرف ماذا نريد وماذا لا
نريد، لأن هذا الظرف بات، بشكل أو بآخر، خارج سيطرة
الإنسان على نفسه لاعتبارات مختلفة في مقدمها خداع
الذات لا الآخر فقط بادعاء المعرفة وصولاً إلى هدف مبيت.
ودائماً البسطاء يدفعون الثمن لأنهم أصحاب قلوب طيبة
ونيات حسنة.

وتمه امته على استغلال الظرف الذي يمر به وطتنا حالياً، عن سقوط ذوي القلوب الطيبة في شباك مدعى المعرفة بما كان وبما سيكرون وإن كانوا على بعد أميال عما سيكون. ودائماً ثمة من يدفع ثمناً غالياً لطبيته ولجهله بنيات الآخرين من شريحة المستغلين تجارة كانوا أم سياسيين أو منظرين على المستوى الخاص والعام على حد سواء. وحين يقال إن مطية العقل التواضع، لا يمكن الرد عليه بالنفي، لأن العقل يبقى رصيد الإنسان كي يعرف ما يقينه لا كما صرّه ها على هواه.

三

الشوكليات

تمزت (مرغريت ميد) - وهي باحثة إيرلندية في علم الإنسان والأنתרופولوجيا - حقائبها، وطارت إلى غابات الأمازون، وما ن هي بعثت بها الطائرة حتى اتجهت مدفوعةً بحب الكشف والاكتشاف، إلى جوف الغابات الأمازونية يرافقها خمسة من الرجال العراة، أما الهدف من هذه الرحلة الخطيرة وغير المأمونة فهو أن هذه الباحثة أصرت على تأليف كتاب عن بقية (الأرابيش) البدائية التي تسكن في أعماق نقطة في غابات الأمازون والتي لم يلفحها هواء الحضارة أو المدنية الحديثة، وقد نجت هذه السيدة بأعجوبة بعد أن لدغتها أفعى وهي في طريقها إلى مضارب القبيلة، عاشت (ميد) سبع سنوات كاملة في مساكن القبيلة فأكلت من طعامها وشاركت في أفراحها وأحزانها، ومارست عاداتها وتقاليدها، وساهمت في نشاطاتها حيث كانت ترافق الرجال والنساء في رحلات الصيد البرية النهرية، والأهم من ذلك أنها كونت فكرة واقعية عن الحياة...

الخلاصة أنها ألغت في هذه الفترة الطويلة كتاباً عن هذه القبيلة حول إلى مرجع لا غنى عنه لكل من يريد أن يعرف أو يطلع عن بذلاني.

ذهـ الـاقـوـامـ الـبـادـيـةـ فـيـ غـابـاتـ الـأـماـزوـنـ .
الـمـالـ آخرـ يـدـعـيـ (روـبـرتـ ماـكـريـزـونـ) تـسلـقـ أـعـلـىـ قـمـةـ فـيـ الجـبـالـ .
لـتـصـبـ فـيـ كـشـمـيرـ الـهـنـدـ، لـقـدـ تـجـشـمـ هـذـاـ الرـجـلـ مـصـاعـبـ لـأـتـعـدـ،
رـكـبـ مـخـاطـرـ لـأـتـحـصـيـ، مـنـ أـجـلـ أـنـ يـلـقـيـ بـشـعـبـ (الـهـوـنـزاـ)،
ذـيـ يـعـيـشـ مـنـذـ مـئـاتـ السـنـينـ مـنـعـلـاـ فـوقـ تـلـكـ الـهـضـابـ، لـقـدـ
مـضـيـ (ماـكـريـزـونـ) وـسـطـ هـذـاـ الشـعـبـ عـشـرـ سـنـوـاتـ بـتـمامـهـ
مـنـ عـامـ ١٩١٤ـ إـلـىـ عـامـ ١٩٣٤ـ، تـعـرـفـ خـلـالـهـ إـلـىـ عـادـاتـهـ
طـقـوـسـ، وـالـأـهـمـ مـنـ ذـلـكـ أـنـ عـرـفـ (سـرـ الـحـيـاةـ الـجـديـدـةـ)
تـيـ يـتـمـعـنـ بـهـاـ أـفـرـادـ هـذـاـ الشـعـبـ، إـنـ قـلـيلـ جـداـ يـمـوتـونـ فـيـ
عـمـرـ الـثـمـانـيـنـ أـوـ التـسـعـيـنـ، بـلـ إـنـ الـأـغـلـيـةـ السـاحـقـةـ مـنـ الرـجـالـ
الـنـسـاءـ يـمـوتـونـ فـيـ عـمـرـ الـمـيـثـةـ، وـإـنـ رـبـعـ الشـيـوخـ فـيـ هـذـاـ الشـعـبـ
مـنـ الـعـمـرـيـنـ الـذـيـنـ تـتـرـاـوـحـ أـعـمـارـهـمـ بـيـنـ ١١٥ـ وـ ١٣٠ـ عـامـاـ،
الـأـخـطـرـ مـنـ هـذـاـ أـنـ شـعـبـ (الـهـوـنـزاـ) لـأـيـعـرـ الـطـبـ وـلـأـلـطـبـاءـ
أـنـ الشـخـصـ الـهـوـنـزـيـ يـحـظـيـ بـأـسـانـهـ حـتـىـ الـمـوـتـ، وـغـيـرـهـاـ
مـنـ الـعـجـائـبـ وـالـغـرـائـبـ الـتـيـ اـكـتـشـفـهـاـ (ماـكـريـزـونـ) .
ماـكـريـزـونـ هـذـاـ شـائـعـ شـائـعـ (مـيـدـ)، خـرـجـ بـعـدـ عـشـرـ سـنـوـاتـ
حـصـادـ لـأـيـقـدـ بـثـمـنـ وـهـوـ كـتـابـ مـهـمـ يـتـحـدـثـ فـيـهـ عنـ أـسـالـيـبـ
تـغـذـيـةـ الـصـحـيـةـ، أـمـاـ عـنـوانـ الـكـتـابـ فـهـوـ (دـرـاسـةـ الـأـمـرـاـضـ)
تـيـ تـسـبـبـهـاـ التـغـذـيـةـ الـخـاطـئـةـ وـالـنـاقـصـةـ) وـرـغـمـ مرـورـ قـرـابةـ

تسعين عاماً على صدور هذا الكتاب فهو لا يزال مرجعاً لا عنه لكل العلماء والباحثين في مجال الصحة والتغذية. هنا نريد أن نقول شيئاً له معنى وهو: هكذا في الغرب يؤلفون كتب، فتأليف كتاب يعني أن يقطع المؤلف من عمره عشرة عوام أو عشرين عاماً، باحثاً ومدققاً ومفتشاً عن الحقيقة، مما كانت هذه الحقيقة صعبة وعسيرة، ففي نهاية المطاف يخرج بقطاف معرفي يخدم البشرية جموعاً، هكذا يؤلفون الكتب علم السياسة والفلك وعلم الاجتماع والاقتصاد والأدب الفن، فيا ليتنا نحن العرب نتعلم كيف نتعاطى مع قضايا علم والثقافة والتلالة، فالتأليف العربي، ما عدا القليل منه تقتد إلى تلك المليئة، ميزة الصبر والجلد والحرفي في الأعمaca من جل استخراج الدرر والجواهر المعرفية، فنحن نبيض الكتب لا نؤلفها، وبعد فنحن نتمنى على مؤلفينا وكتابنا أن يحترموا راءهم فلا (يبسيرون لنا كتاباً لا تسمن ولا تغنى من جوع) ولا قدم حداً ادنى من المعرفة، بل حرام الورق والحبير والطباعة التي صرفت عليها، كما نتمنى على نقادانا أن يذهبوا إلى طبيب نسي ليعالجوا هذه (الفوبيا) أو هاجس الخوف من المؤامرة التي تحكم بكتاباتهم وتصنع وجهة نظرهم.

لنبحث عن الجانب المشرق في تأليف الكتب العربية العلمية الإنسانية لكي نلحق بررك العالم المتقدم في مجال التأليف النشر متلماً كان أباًنا وأجدادنا العرب الأوائل يطهرون حول العالم ليؤلفوا الكتب عن العالم المتقدم ونشاطاته المذهلة، ابتكروا صيغاً جديدة في التأليف علموا العالم هذه الأبجدية تاريجية.